ذكرى المدينة

راسم المدهون

وراء البحر ،
لا تأتي لنا الكلمات
تغسل نفسها الخطوات
ماء من كلام الله يمحو ظلنا
تتعثرين ويسقط الزغب الخجول
تذوب منك الآه في بوابة لا تنتهي . .
وأقول أسئلتي . .
لماذا تفتحين الباب للرمل الذي يأتي من الغربة
ومن وجع الحوار المر بين السيف والرقبة
فتضحك عن طفولتنا صحاري الماءِ
ثم أقول أسئلتي . .
لماذا تسرقين النبض من صوتي
ويتبعني صدى الأصوات من بيت الى بيت
وتضحك من سذاجتنا صحارى الماء
تنثر كل أسئلتي الى الشط الذي كنا نرتب فيه
اجوبة عن الدنيا
وعن أشيائنا الأولى
فتضحك من تفاصيل الطفولة في الصباح البكر
صحراء من الماء الملبد بالدم الأزرق
وتذرونا الى موج يبددنا
نصير كقطرة من ماء
وتسقط فيه أسئلتي
فكيف أتيت من وقتي
وصرت جميلة في الماء
هنا في زحمة الأشياء
خلف البحر
لا تأتي لنا الكلمات
تغسل نفسها الخطوات
ماء من كلام الله يمحو ظلنا
تتعثرين . . ويسقط الزغبُ الخجول
تذوب منك الآه في بوابة لا تنتهي . .
وأقول أسئلتي

***

لغزة طعمها
قمر من الماء الملبد بالدم الأزرق
يزور عيونها في آخر الليل الجميل
ووجهها المرآة ،
فيه تمشط الدنيا ضفائرها
من النوم
وتقرأ آية اليوم
فيأتي من شريط الذكريات اليّ حين أشدها
بين المدائن والقرى طعم الرحيقِ
أحس بالأشياء :
نبضُ طفولتي الأولى
طباشير الحروف الطفلة ارتسمت على الجدران
أتراب المخيم بعضهم في ساحة الدرس انحنوا
يتوضئون باغنيات عن بلاد لم يروها
ثم تأتيهم على شكل انتظار في دم الآباء يسكن
أمهات كن يصنعن الغد الآتي لنا
حقائب من قميص الوالدِ المشغول عنا
أو حبيبات الطفولة بالثياب المدرسية
لغزة طعمها . .

ملح من البحر الملبد بالدم الأزرق
وأصداف تخبيء بوحنا وتنام
وخلف البحر
لا تأتي لنا الكلمات
تغسل نفسها الخطوات
ماء من كلام الله يمحو ظلنا
تتعثرين . . ويسقط الزغب الخجول
تذوب منك الآه في بوابة لا تنتهي . .
وأقول أسئلتي .

***

وها إنا كبرنا في غياب البحر
جاءَتنا الحروبُ
وجاء من بعد الحروب الوقت والمنفى
ولا ماءُ
أشد الى دمي حبل التفاصيل الصغيرة
نخلة جرداء
يسقط في ظهيرة حرّها المنفى
حصادَ العمر
عثرة وقتنا المسكون بالاشباح.
تسقط بعض أسئلتي
فيا ويلي من الأشياء
تكبر في غياب طفولتي الاولى وتنساني
بعيداً عن مرايا البحر تنساني
ويا ويلي اذا ما هدنا التعب
يظل البحر بحراً من دم أزرق
ورمل الشاطىء البحري أصدافاً ورملاً
والخطى تعبر
وابحث فيه عن نافورة الفرح القديم
أشد أسئلتي اليه
اكابر المنفى
وحوش البحر
طوفان الحروب
مسافة الزمن الطويل
غيابك
الورد الذي لم يحترق في خاطرينا
ثم أسماء الشوارعِ
أصدقاء طفولتي
كتب المدارس
قهوة النصرِ
الحدائق
أول الموتى
زوايا البيتِ
ثم أشد أسئلتي
أوقتاً تسقطين الآن في الماء الملبد بالدم الأزرق
وهذا الماء لا يورق
فكيف اذن
يجيء الحسن محمولا على قمر من الأطفال
والذكرى
ونضحك مرة أخرى
وكيف اذن
سأكتب اسمك الوثني في الماء
وخلف البحر
لا تأتي لنا الكلمات
تغسل نفسها الخطوات
ماء من كلام الله يمحو ظلنا
تتعثرين ويسقط الزغب الخجول
تذوب منك الآه في بوابة لا تنتهي
وأقول أسئلتي . .

***

تعالي مرة . .
سأقول شيئاً ما
قليلاً من كلام الحب
أهمسه لئلا يسمع المنفى
وطوفان الحروبِ
ومرة أدنو من الماء الملبد بالدم الأزرق
اقبل وجهك المكتوب فوق الماءِ
ثم أقول أغنيتي . .
فكوني أنت أغنيتي
وشدّي للزمان الصعب هذي الأحرف الأولى
وكوني في الصباح البكر
منديلاً
وكوني كفك الطفلة . .
تشد أصابعي في الريح
خلف البحرِ . .
يا أشياءنا الأولى
على الشط الغريب وقفت
كان الوقت ليلاً دامي العينين
لا تأتي لنا الكلمات
بحر خلفه بحر
ولا تأتي لنا الكلمات
تغسل نفسها الخطوات
ماء من كلام الله يمحو ظلنا
تتعثرين ويسقط الزغب الخجول
تذوب منكِ الآه في بوابة لا تنتهي . .
وأقول أسئلتي . .

دقيقة صمت بين الجدران الاربعة

محمد عبد القادر

«قد ذهب الرفاق !!
فهل يعودوا ؟»
واغرورقت تلكما العينان بالكلمات
والدمع
والذكرى !!
وتمايل الرأس المحاصر بالأسى
والشوق
والحسرة !
ولفّنا صمت حزين
وتدفقت قصص الحنين
وانحل
حبل
الذكريات . . . .
أين الرفاق ؟
وأين ضحكات الجميع ؟
أين العتاب ؟
وأين الصراخ
وأين النقاش الرفاقي
يمتد حتى خيوط الفجر ؟
أين الحديث عن الوطن الحبيب ؟
والحبّ السليب ؟
وحرية المرأة ؟
مرّ الرفاق أمامنا في لحظة
ومضوا . .
ما انتظروا لنرسم في الوجنات
قبلة
ما وقفوا لنمسح عن جباههم
عرقاً
تراءى فيه صمود خلدة
لم يأخذوا كتب «الرفاق» :
«رأس المال» و «اليسار الطفولي»
لم يأخذوا «غسان»
ـ وهو المعلّم والمصاحب دائماً ـ
لم يرسلوا للأهل «نرجو الموافقة»
تركو المقاعد والشهادة
لم يتوسلوا . .
لمعلم في رحاب الجامعة
لم يقرأوا العدد الأخير
من «الهدف»
ذهب الرفاق ـ عزيزتي ـ
في القلب حلم
وفي العينين أمنية
أن يكتبوا العدد الجديد من الهدف

حزيران ١٩٨٢

ريشة : م ـ حمدان